وفيما كان يسير في اتجاه المقهى ذات يوم ، لاح الرجال ذووا المنامات المخططة له ، وتناهت اليه فرقعات احجار النرد ، فراح قلبه يخفق بسرعة ، وعاودته فكرة الانتقام منهم مرة اخرى . وسرعان ما تشابكت كل المخططات القديمة في رأسه وغاب عن كل شيء . ولم يعد الى نفسه ، الا حين احس فجأة على هدير السيارة العسكرية من خلفه تكاد تدهمه ، وهي تطلق صفارتها بشكل مفاجيء . وقبل ان يسارع الى تجنبها دفعه احد الجنود بعقب بندقيته وهو يطلق ضحكة ساخرة ، فسقط سليم على وجهه وسط الغبار المنعقد فوق رأسه . فسارع الى النهوض ، وقد تملكه الغضب والحقد وهو يلحقهم ببصقة كبيرة ، وما ان هم بجمع بصاقه مرة اخرى حتى اكتشف انه كان يقبض على حجر مدور في يده ، ورغم ان السيارة قد ابتعدت عن مرمى حجره ، الا انه قذفه خلفها بكل قوته ، وهو لا يزال يترنح ، فسقط على الارض مرة اخرى .

اطلق محمود « ابو شنب » ضحكة عالية ، وراح شنبه يتراقص كفكي عقرب هائج على وجنتيه العريضتين اللامعتين . اما « ابو كرش » ، فكاد يغمى عليه من الضحك ، وهو لا يستطيع ابعاد مبسم النرجيله عن شفتيه ، فشرق بمائها وراح يسعل ضاحكا ، وكرشه المتضخم يتناثر بحركات غريبة نحو ذقنه .

نهض سليم البهلول ، وهو يجمع لعابه متذوقا فيه طعم الدم ، ونظراته المتوقدة لا تزال تتعلق بشنب محمود المتراقص حول انفه الضخم ، وبكرش سعيد الزرعيني المتناثر على ركبتيه ، فراح ينفض التراب عن ثيابه المهلهلة وهو يتعثر في مشيته نحوهما ، وما ان مر بهما حتى نثر بصاقه عليهما وانطلق هاربا .

وفيما كان يجري ، لمعت في ذهنه ، تلك الفكرة التي كان يبحث عنها طيلة الوقت دون ان تسبب له الخوف والهلع . فتوقف لاهثا وهو يلتفت خلفه باحثا اذا ما كان ثمة من يلاحقه ، وقد تهلل وجهه وارتسمت على شفتيه بسمة انتصار عريضة .

فرك يديه وعيناه تجولان الطريق حوله ، فوقع نظره على حجر كبير مدور . انفرجت شفتاه . سال اللعاب من بسمته . تقدم نحوه . نظر حواليه يغافل المارة . انحنى عليه . التقطه . دسه في عبه وانطلق .

انحنى في اول زقاق ، واستدار خلف المقهى . التصق بالجدار ، وربض في انتظار الدورية الاسرائيلية حتى تعود . تلفت حوله . تثبتت عيناه في اول الطريق . تحفزت اعصابه . تعلقت عيناه بقرص الشمس . كانت الشمس تتعلق في نهاية المخيم . دمعت عيناه . خيل اليه انها تكاد تسقط فوق البيوت . دق قلبه بسرعة . سقطت عيناه على اول الطريق مرة اخرى .

اطلت الدورية . كانت السيارة تسير بسرعة جنونية ، مثيرة خلفها زوبعة من الغبار ونفايات الاشياء . ارتعشت يد سليم . حك ظهره بالجدار ناهضا ببطء ، كما لو كان يريد الدخول فيه ، وقد اخذ قلبه يخفق بسرعة عجيبة ، وانفاسه تتلاحق بانتظام مكبوت . شدت يداه على الحجر . كورهما . نفخ فيهما . اقتربت السيارة . نقل الحجر الى كفه اليمنى . تلاحقت انفاسه على الحجر بسرعة . مرت السيارة . اتبعها الحجر بكل ما يملك من قوة ، والتصق بالجدار وهو ينتفض .

اصاب الحجر احد الجنود في رأسه ، فأطلق صرخة رهيبة اطارت قلب سليم من الهلع . ارتعشت ساقاه . امسك بالجدار .